الأنثروبولوجيا الثقافية الحضارية وتطبيقها على نماذج من مخطوطات في عهد السلطان سليمان القانوني ومراد الثالث
دراسة " آثارية-حضارية "

إعداد

الباحثة/ رشا علاء عقيلي

باحثة ماجستير في الآداب تخصص/ آثار إسلامي

كلية الآداب - جامعة أسيوط

تاريخ الاستلام: ١٦/ ٣/ ٢٠٢٢م

تاريخ القبول: ٢٤ / ٣ /٢٠٢٢م

ملخص:

اهتم الإنسان بمعرفة الطبيعة الإنسانية واهتم كذلك بتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية والعادات والتقاليد والديانات والفنون وغير ذلك، ويأتي اهتمام علم الأنثروبولوجيا لدراسة المجتمعات الإنسانية من خلال ما ينتجه الأشخاص في ذلك المجتمع سواء مادي أو فكري أو اجتماعي، وكذلك كل ما اكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك وقيم تسود المجتمع، انعكست وظهرت في فن التصوير، فخلال هذه الورقة البحثية سأقوم بتطبيق الأنثروبولوجيا الثقافية في المجتمع العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني ومراد الثالث من خلال بعض التصاوير الموجودة في المخطوطات التي أنتجت في عهدهم.

وسأتناول ذلك من خلال عدة مباحث، المبحث الأول الأنثروبولوجيا الثقافية، المبحث الثاني أهمية الأنثروبولوجيا، المبحث الثالث السلطان سليمان القانوني، المبحث المبحث الرابع السلطان، والخاتمة التي اشتملت على نتائج الدراسة، ثم ملحق اللوحات، وأخيرًا قائمة المراجع.

الكلمات الدالة: الأنثروبولوجيا، سليمان القانوني، مراد الثالث، السورنامة، الهنرنامة، طوبقابي سراي.

Abstract

Man was interested in knowing human nature and was also interested in explaining the differences in physical features, customs, traditions, religions, arts, and so on. Anthropology is interested in studying human societies through what people produce in that society, whether material, intellectual or social, as well as everything that man has acquired from Customs, traditions, methods of behavior and values prevailing in the society were reflected and appeared in the art of photography. During this research paper, I will apply cultural anthropology in the Ottoman society during the reign of Sultan Suleyman Al Kanoni and Murad the Third through some illustrations in the photos that was produced during their time of ruling. I will address this through several sections, the first topic is cultural anthropology. The second topic The importance of anthropology.

The third topic, Sultan Al Suleyman Kanoni The fourth topic, Sultan and the conclusion, which included the results of the study, then the appendix of the paintings, and finally the list of references

Keywords: Anthropology, Suleyman Al Kanoni, Murad The Third, Surname, Hannahmah, Topkapi saray.

مقدمة:

أدى الاختلاف بين الثقافات والسلالات إلى تصنيف موحد عند كل مجتمع في العالم سواء في الماضي أو الحاضر[١]. هناك "الناس وهم بنو جلدتي ومجتمعي ولغتي وحضارتي أنا، وهناك "الناس غيرنا" وهم غيرنا من المجتمعات والحضارات، وكان "الناس" غيرنا دائمًا مثار التعجب والاستغراب عند العامة من "الناس"، ومثار فحص وتمحيص عند الخاصة من "الناس" ومن هنا كانت بداية دراسة الإنسان.[٢]

تعرف الأنثروبولوجيا بأنها العلم الذي يدرس الإنسان بوصفه كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع يسوده نظم وانساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة، ويقوم بأعمال متعددة يسلك سلوكًا محددًا، وهو العلم الذي يدرس الحياة الاجتماعية البدائية، والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبؤ بمستقبل الإنسان معتمدًا على تطوره عبر التاريخ الإنساني، ولذلك يعتبر علم الأنثروبولوجيا علمًا متطورًا يدرس الإنسان وسلوكه وأعماله.[٣]

وخلال ذلك البحث سأقوم بعمل دراسة عن المجتمع العثماني من خلال بعض تصاوير المخطوطات.

المبحث الأول ـ الأنثروبولوجيا الثقافية:

الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان أو علم دراسة الإنسان حسب المعنى الاشتقاقي أو الأصل اللغوي لهذا الاصطلاح الذي يتألف من الكلمتين اليونانيتين:

- أنثروبوس Anthropos ومعناه الإنسان.
- لوغوس logos ومعناه علم أو دراسة الموضوع.(٤)

وبذلك جاءت لفظيًا يعني "علم الإنسان".(٥)

ويتضح من التعريف اللفظي لاصطلاح الأنثروبولوجيا أن موضوع هذا العلم هو الإنسان وأجداده وأصوله وعاداته وتقاليده وقيمه، وخبراته وممارساته، وصنائعه ومهاراته تراثه الحضاري المادي والمعنوي، منذ أقدم العصور وحتى يومنا.(٦)

وتعرف الأنثروبولوجيا بصورة مختصرة وشاملة أنها "علم دراسة الإنسان طبيعيًا واجتماعيًا وحضاريًا"، أي أنها لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنما بوصفه كائنًا اجتماعيًا يعيش وسط مجتمع معين له مميزاته الخاصة في زمان ومكان معينين.(٧)

فهي الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتعددة التي تضم: التراث الفكري وأنماط القيم والفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة. وهذا يتوافق مع تعريف تايلور Tylor الذي يرى أن الأنثروبولوجيا "هي الدراسة الثقافية المقارنة إذ تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان، وبين ما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية.(٨)

وتدرس الأنثروبولوجيا الثقافية أصول المجتمعات والثقافات الإنسانية وتاريخها، وتتبع نموها تطورها وتدرس بناء الثقافات البشرية وأداءها لوظائفها فى كل مكان وزمان. فالأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بالثقافة في ذاتها سواء كانت ثقافة أسلافنا أبناء العصر الحجري، أو ثقافة أبناء المجتمعات الحضرية المعاصرة في أوروبا وأمريكا. ويمكن أن تكون دراسة الثقافة الأنثروبولوجية الثقافية ذات جانبين: الجانب الأول هو

الدراسة المتزامنة أو في زمن واحد أي دراسة المجتمعات والثقافات في نقطة معينة من تاريخها والجانب الآخر هو الدراسة التتبعية أو التاريخية أي دراسة المجتمعات والثقافات عبر التاريخ.(٩)

يعد مصطلح الثقافة من المصطلحات الهامة في الأنثروبولوجيا الثقافية وقد اختلف علماء الأنثروبولوجيا حوله، بالرغم من شيوع استخدامه في كثير من الدراسات الاجتماعية والثقافية فيشمل كل إنجازات العقل البشري بل وكل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل أو فكر وكذلك كل ما اكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك وقيم تسود المجتمع الذي نعيش فيه وهذا المعنى أوسع بكثير مما جاء في المعاجم العربية ومن أقدم تعريفات الثقافة وأشملها نجد تعريف إدوارد تايلور في كتابه الثقافة البدائية وهو يرى أن الثقافة هي الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان حيث هو عضو في مجتمع، وكل ما أوجده الإنسان على الأرض من مخترعات ومبتكرات.(١٠)

ويختلف مسمى هذا الفرع من الأنثروبولوجيا في بريطانيا الذي يحمل اسم الأنثروبولوجيا الاجتماعية، فليس هناك جدوى حقيقة في التمييز بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية، وقد جاء هذا التمييز أصلًا للتفريق بين الأنثروبولوجيا الأمريكية والأنثروبولوجيا البريطانية، باعتبار الأولى تركز بشكل أولى على أشكال وأنماط الحياة الثقافية للمجتمعات، بينما اهتمت الثانية بصورة رئيسية بدراسة الإنسان والنظم الاجتماعية في علاقتها وترابطها مع بعضها البعض في شبكة من العلاقات والبنى الاجتماعي، ويظل التميز أمرًا نسبيًا، قد يختلف من باحث إلى آخر، أو من موضوع لآخر أو من واقع اجتماعي لواقع آخر، وإن كان هذا التمييز اكتسب قدرًا من المصداقية أو الوضوح في الماضي، فاليوم ومنذ أكثر من ثلاث عقود مضت، الأنثروبولوجيين الثقافيين الأمريكيين يلتفون إلى موضوعات بحثية ذات طابع ثقافي اجتماعي، وكذلك بالنسبة لأقرانهم في بريطانيا وغيرها من الدول الأوربية.(١١)

المبحث الثاني ـ أهمية الأنثروبولوجيا:

واستنادًا إلى مفهوم الأنثروبولوجيا وطبيعتها، فدراستها تحقق مجموعة من الأهداف، وهي كالآتي:

- تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها دراسة واقعية وذلك للوصول إلى أنماط إنسانية عامة، في سياق الترتيب التطوري الحضاري العام للإنسان (بدائي زراعي – صناعي – معرفي).
- تحديد أصول التغير الذي يحدث للإنسان، وأسباب هذا التغير وعملياته بدقة علمية، وذلك بالرجوع إلى التراث الإنساني وربطه بالحاضر من خلال المقارنة، وإيجاد عناصر التغيير المختلفة.
- استنتاج المؤشرات والتوقعات لاتجاه التغيير المحتمل، في الظواهر الإنسانية (الحضارية) التي تتم دراستها.(١٢)

وقد استطاع علم الأنثروبولوجيا في أن يثبت الكثير من الظواهر الخاصة بنشأة الإنسان وطبيعته، ومراحل تطوره الثقافي، فإن أهم ما أثبته هو أن الشعوب البشرية على اختلاف أجناسها، تتشابه إلى حد التطابق في طبيعتها الأساسية، ولا سيما في النواحي العضوية والحيوية.(١٣)

وبما أن اهتمام علم الأنثروبولوجيا يأتي لدراسة المجتمعات الإنسانية ووسائل وطرق الاتصال فيما بينهما، و ما ينتجونه سواء مادي أو فكر إنساني أو علاقة اجتماعية، ويمكن تطبيق ذلك على مجتمع معين في زمن معين من خلال ما ينتجه الأشخاص في ذلك المجتمع سواء مادي أو فكري أو اجتماعي، وكذلك كل ما اكتسبه الإنسان من عادات وتقاليد وأساليب للسلوك وقيم تسود المجتمع، والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والعرف وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من تأثره بالثقافات الأخرى واختلاف السلالات حيث اختلاف السحن من ناحية البشرة البيضاء أو السمراء والملامح و تباينها، فسوف أقوم بتطبيق هذا على المجتمع العثماني في عهد السلطان سليمان القانوني ومراد الثالث.

المبحث الثالث ـ السلطان سليمان القانوني (٩٢٧ـ٩٤٧هـ/١٥٢٠ـ١٥٦٦م:

هو أحد أعظم السلاطين في الدولة العثمانية، هو الابن الوحيد الباقي للسلطان سليم الأول، وأمه حفصة خاتون، ولد في ولاية طرابزون سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، عندما كان والده واليًا عليها قبل توليه عرش السلطنة، كان في الخامسة والعشرين عندما توفي والده فترك ولاية مانسيا وقدم لأستانبول حيث اعتلى العرش العثماني، وبلغت فترة حكمه ٤٦ سنة، وقد حققت الدولة العثمانية في عهده تطورًا كبيرًا في كافة المجالات ولا سيما العسكري والفني والمعماري، ووصلت الدولة في عهده إلى أقصى اتساعها، فاستولى على رودس سنة٩٢٩هـ/١٥٢٢م، وعلى المجر سنة ٩٣٣هـ/١٥٢٦م، وحاصر فيينا وضم طرابلس إلى دولته، وقام بتنظيم قوانين الدولة وعمل على تطبيقها بصرامة ولذلك سمي بالقانوني، وقام بإنشاء الكثير من المجمعات المعمارية أشهرها مجمع وجامع السليمانية في أستنابول.

ويعتبر عهد السلطان سليمان هو العصر الذهبي للحضارة العثمانية فقد عم فيه الرخاء واستبحر العمران، وكان له نهضة أدبية علمية هي أكبر نهضة عرفها الترك في الآداب والعلوم، وعرف عنه حب العلم والعلماء والأدباء والشعراء، إلى جانب رعايته للفنانيين العاملين بمرسم السلطان.(١٤)

نماذج من المخطوطات في عهد السلطان سليمان القانوني:

(١)مخطوط بيان سفر منازل سفر العراقيين:

محفوظ في مكتبة جامعة أستانبول ٩٤٤هـ/١٥٣٧-١٥٣٨، كتب نثرًا باللغة التركية لوصف مواضع المنازل والأماكن التي توقف فيها الجيش العثماني في حملته على العراق وغرب إيران، كتبه ووضحه بالصور الفنان نصوح السلاحي المطرقي، المؤرخ والجغرافي والرسام، وقد تبع نصوح في رسم هذا المخصوط أسلوبًا بين رسم

الخرائط وزخرفة المنمنمات وهو أسلوب الرسوم الطوبغرافية، كما اهتم برسم المدن مثل أستانبول وتبريز وسلطانية.

ويظهر في هذا المخطوط الواقعية في رسم العناصر المعمارية، كما أنه ذو قيمة وثائقية في دراسة تاريخ العمارة العثمانية حيث ضم العديد من المدن بما تضمه من مساجد وأضرحة وقصور ومنازل وأسواق، كما عرف من خلاله على جغرافية الأقاليم التي مرت من خلالها الحملة.

- صورة مزدوجة لمدينة أستانبول (لوحة١):

يشاهد فيها الجانب الأوربي من المدينة وكذلك الجانب الأسيوي يواجه كل منهم الآخر، وقد أحاطت بهما الأسوار المحصنة بالأبراج وكذلك البوسفور وخليج القرن الذهبي وبحر مرمرة، وقد عجت مياههم الزرقاء اللون بالمراكب التي تبحر في اتجاهات مختلفة.

وعمائر مدينة أستانبول في الصورة وكأنها رسمت من زوايا مختلفة بأسلوب يعبر عن وجهة نظر الفنان الذي تمتع بقدر كبير من دقة الملاحظة ووضوحها، كما يبدو أن عمائر المدينة قد اختيرت وفق أهميتها ومكانة أصحابها في تلك الفترة وحذف بعض المباني لقلة أهميتها، من العمائر المدنية التي تظهر في الصورة القصر العتيق وقصر طوبقابي بأسواره وأفنيته الثلاثة وحدائقه وقصر إبراهيم باشا وميدان السباق وميدان الخيل، ومن المنشأت التجارية البدستان العتيق وبدستان السلطان محمد الفاتح، ومن منشأت الرعاية الاجتماعية مناهل المياه العثمانية وقنطرة فالنس وحمام محمود باشا وحمام بايزيد الثاني، ومن العمائر الدينية مسجد آيا صوفيا ومسجد محمد الفاتح وبايزيد الثاني[١٥]..[١٦]

نرى في تلك التصويرة مدينة أستانبول وقد أحيطت ببحر البوسفور وبحر مرمرة، ومياههم الزرقاء والمراكب التي تملأهم ويدل ذلك على مدى الازدهار التجاري الذي

وصلت إليه الدولة العثمانية في تلك الفترة، حيث اتبع السلطان سليمان سياسة التوسع عن طريق الفتوحات أو العلاقات الخارجية، و نلاحظ في التصويرة كذلك تمركز العمران حول قصر السلطان، في حين أن الجانب الآخر من التصويرة نلاحظ قلة المباني، وهذا لأن الناس يحبون التمركز حول قصر الحاكم. دقة المصور في رسم قصر الحاكم وما يحيط به من مباني، في حين نلاحظ خلو الصورة من العنصر الآدمي حيث تركيز المصور على العمائر والطبيعة، حيث أشجار السرو وحزم الأزهار والأشجار المزهرة والمثمرة، وقد تميزت الرسوم النباتية بالواقعية وإن كان بها لمحة زخرفية، كما عبر عن البحار والوديان بخطوط بسيطة وأظهر بها الحركة عن طريق حركة المراكب.

ومن خلال تلك الصورة نرى مدى التطور العمراني في مدينة أستانبول في تلك الفترة، والتعرف على أشكال العمائر المدنية والدينية و معرفة التوسع والتطور الذي زاد على مدينة أستانبول في فترات لاحقة، كما نستطيع معرفة المباني الباقية والمندثرة، وهذا ما تسعى إليه الأنثروبولوجيا الثقافية دراسته.

(٢) مخطوط سليمان نامة:

مؤرخ في عام ٩٦٥هـ/١٥٥٨مـ، محفوظ في مكتبة طوبقابي سراي، ألفه الشاهنامجي والمؤرخ فتح الله عارف جلبي بناء على تكليف من السلطان سليمان القانوني، وهو يتناول أمجاد وانجازات سلاطين الدولة العثمانية، وهو يتألف من خمسة أجزاء، والجزء الخامس منه فيعرف باسم سليمان نامة ويتناول فترة حكم السلطان سليمان القانوني منذ توليه، ويحتوي هذا الجزء على٦٩ صورة، اشترك في إنجاز هذه الصور خمسة مصورين، اثنان من الأساتذة وثلاثة من الفنانين الصغار، ويظهر في رسوم تلك التصاوير الأسلوب الإيراني الصفوي والأسلوب الأوروبي و الأسلوب العثماني.

وتمثل صور "سليمان نامة" مرحلة هامة من مراحل تطور التصوير العثماني وفي نفس الوقت البشير بمقدم فترة الأصالة التصوير العثماني.(١٧)

ويظهر في ذلك المخطوط الاندماج بين الثقافات المختلفة وهذا ما تعمل الأنثروبولوجيا الثقافية على اظهاره.

- **صورة مزدوجة تمثل تتويج السلطان سليمان القانوني (لوحة ٢):**

ويشاهد في القسم الأيمن السلطان سليمان في الفناء الثاني من قصر طوبقابي وهو يجلس على كرسي العرش الذي يسمى بيرم تختي ويقبل طرف ردائه أحد رجال الدولة أسفل البائكة الشمالية للفناء، والتي تتكون من أربعة عقود مدببة ذات صنجات معشقة وفق لنظام الأبلق ترتكز على أعمدة رخامية، ويغطي البائكة أربعة قباب يغشي ظاهر سطحها الخارجي كسوة خزفية زرقاء اللون، و تتناوب قمم أشجار السرو مع هذه القباب الأربع، شجرتين بين كل قبة، كما يغطي جدار البائكة كسوة خزفية ذات لون أحمر وكذلك أرضيتها وأن ساد ألوانها اللون الأزرق.

ويقف أسفل البائكة على يسار السلطان ثلاثة وزراء ومعهم الصدر الأعظم ويقف على يمينه ابنه الأمير سليم، وفي مقدمة الصورة أعدادًا كبيرة من كبار رجال الدولة من العسكريين والمدنيين قد اصطفوا في تكوين دائري، ينتظرون لتقديم الولاء للسلطان كلًا في دوره، وفي وسط الصورة بعض حراس القصر وشجرتين مورقتين في كل جانب شجرة وتكسو الأرضية حشائش خضراء على أرضية صفراء اللون.

وفي القسم الأيسر من الصورة المزدوجة يشاهد البوابة الملكية (باب همايون) التي تؤدي إلى الفناء الأول الذي به كشك المفوض وفي نهايته بوابة السلام.

ويشاهد على جانبي البوابة الملكية مجموعة من الأشخاص الراكبين والواقفين يستعدون لعبور البوابة للمشاركة في الاحتفال، في حين يمتلأ الفناء الأول بأعداد كبيرة من رجال الدين والشريعة وقضاة العسكر.

تدور أحداث التصويرة داخل فناء قصر السلطان، في مقدمة التصويرة يوجد عدد كبير من الرجال يصطفون في صفين ويرتدون ملابس متباينة الأشكال والألوان، حيث يرتدون الجبة يعلوها عباءة منقوشة ويعتمروا العمامة العثمانية المميزة، ويصطف معهم رجال الانكشارية الذين يرتدون عمامة مختلفة عنهم قوامها إسطواني الشكل مرتفعة لأعلى، تباينت ملامحهم وحركاتهم وإيماءتهم، حيث في وسط التصويرة نجد رجلين يتحدثان معًا و أحدهم يرتدي عباءة منقوشة ويستند على عصا سوداء إسطوانية، والرجل الآخر يقف أمامه باحترام وإجلال مشبكًا كلتا يديه ويدل ذلك على مكانة الشخص الآخر، وخلفهم يوجد شجرة مورقة يقف خلفها ثلاث رجال يرتدون ملابس متشابهة الأشكال والألوان، وفي الجانب الآخر يوجد رجلان بجوار بعضهم ويوجد خلفهم شجرة مورقة، وفي منتصف الصورة نجد السلطان يجلس على عرشه الذهبي اللون وعند قدميه يجثو شخصا يقوم بتقبيل طرف ردائه، وعلى جانبه الأيمن يوجد رجل يبدو عليه الوقار ويشبك كلتا يديه أمامه، ووقوفه بجوار السلطان يدل على مكانته في الدولة، ويوجد في خلفه ثلاث رجال آخرون يشبكوا كلتا يديهم ويتشابهان لحد كبير في الملابس، وعلى الجانب الأيسر للسلطان يوجد عدد من الرجال متشابكي الأيد، ويجلس السلطان في حجرة الفناء بعقود ذات البلاطات الخزفية بنظام الأبلق الأسود والأبيض بزخارف هندسية حيث النجوم والطبق النجمي، ويغطي جدار الفناء كسوة خزفية ذات اللون الأحمر وأرضية زرقاء بزخارف نجوم.

وظهر في تلك الصورة واقعية المصور في رسم عمارة قصر طوبقابي وبواباته وأفنيته، ودقة المصور في رسم العناصر المعمارية والزخرفية ورسم أدق التفاصيل، وحرصه على تناسب هذه العناصر عناصر الصورة من رسوم آدمية وحيوانية ونباتية.[١٨]

- تصـويرة "احتفـال السـلطان سـليمان بختـان ولديـه الأميـر بايزيـد والأميـر جهانكير"(لوحة٣):

وهي من التصاوير التي تمثل حفلات ختان أبناء السلاطين و زواج أبنائهم، حيث احتفل السلطان بزواج ابنته "مهرماه سلطانة" بـ رستم باشا أثناء ذلك الاحتفال وقد عبر عنه المصور بوجود الفرقة الموسيقية المكونة من ثمانية عازفين على آلات والهدايا المقدمة للسلطان.(١٩)

اهتم السلاطين بحفلات ختان أبنائهم للتوضيح على مدى قوة الدولة وعظمتها، كما كان لتلك الاحتفالات مراسم خاصة بها، مثل مبايعة كبار رجال الدولة للسلطان بتقبيل طرف ثوبه، أن يتجه كل أمير سُيختن إلى القصر القديم، قبل بدأ الحفل لتوديع أمه الوداع الأخير لأنه قد لا يراها بعد ذلك، و دعوة السلطان الحضور جميعهم إلى يغما "وليمة" في كل صباح، واختلفت موائد عامة الشعب والإنكشارية عن تلك المقدمة لكبار رجال الدولة.

المبحث الرابع: مراد الثالث ٩٨٢-١٠٠٤هـ/١٥٧٤-١٥٩٥م:

جلس على العرش عقب وفاة والده، اهتم بفنون العلم والأدب والشعر وكان يتقن ثلاث لغات، وكان يميل إلى علم التصوف واشتهر بالتقوى واهتم بالعلماء، وعمل السلطان على تنفيذ سياسة والده من قبل، حيث قام بالعديد من الحروب في أماكن مختلفة، كما دخل في صراعات مع الشيعة الصفوية.(٢٠)

- **نماذج من المخطوطات في عهد السلطان مراد الثالث**:

(١) مخطوط الهنرنامة الجزء الثاني:

مؤرخ بعام ٩٩٦هـ/١٥٨٨م، محفوظ بمكتبة متحف طوبقابي سراي، نسخة الخطاط علي الأضني، ويضم عشرة أبواب تدور حول أحداث عهد السلطان سليمان القانوني، ويحتوي على ٩٥ صورة من عمل الأستاذ عثمان بالاشتراك مع رسامين آخرين من المرسم السلطاني يحدد البعض عددهم ستة.(٢١)

- **تصويرة "فتح السلطان سليمان لبلجراد" (لوحة ٤):**

تظهر بها أعلام المدينة السوداء المزينة بأشكال الصلبان منكسة، في حين يثبت أحد الجنود العثمانيون علمًا ذا لون أصفر وله إطار أحمر أعلى قمة برج من أبراج القلعة إلى اليمين من الناظر، ويثبت علم آخر يجمع بين اللونين الأحمر والأصفر فوق برج من أبراج القلعة.

وفق المصور في إبراز رفع الآذان من فوق قلعة المدينة المفتوحة، فنرى أحد الأشخاص في منتصف التصويرة يضع يديه على أذنيه في إشارة لرفع الآذان، وفي مقدمة التصويرة حمل أحد الأشخاص لكيس على ظهره متجهًا به إلى باب القلعة، وقد ناء به ظهره بسبب ثقله ومن المحتمل أن المراد به التعبير عن الإستيلاء على بعض غنائم المدينة المفتوحة.

بعد إتمام النصر يعطي الجنود العثمانيون السلطان أو من ينوب عنه في الحرب الرايات والطبول وذيول الخيل ورؤوس القتلى وغنائم البلدان المفتوحة ويأمر قائد الجيش أو السلطان بتوزيع المنح والعطايا من غنائم تلك البلدان للمشاركين في الحرب، ويقبل الجنود طرف ثوب جميع القادة ابتداء من الصدر الأعظم.(٢٢)

- **تصويرة "وصول السلطان سليمان وأبنائه الثلاثة إلى ميدان السباق":**

بدء الحفل بوصول السلطان وأبنائه حيث يشاهد السلطان في التصويرة اليسرى أعلى صهوة جواده بينما يتقدمه ويحيط به من الجانبين مجموعة من حرسه الخاص، وخلفه اثنان من الأغوات وفي مقدمة التصويرة بعض كبار رجال الدولة بملابسهم الرسمية على صهوات جيادهم، أما الشاهزادات الثلاثة فيتوزعوا على التصويرة اليمنى، فيشاهد الأول في مقدمتها وحوله الحراس، والاثنان الآخرون في خلفية التصويرة متجهين إلى القصر إبراهيم باشا ويلاحظ ارتداء السلطان وأبناءه لملابس رسمية ووضعهم الريش المرصع بالأحجار الكريمة فوق عمائمهم.

وعبر المصور عن استقبال السلطان وأبنائه في ميدان السباق بالموسيقى من خلال تمثيل ثلاث عازفين من فرقة النوبة الموسيقية إلى يمين الدرج المؤدي لأحد مداخل القصر، أحدهم يقرع على طبلتين كبيرتين والآخران ينفخ كلًا منهم في بوق بالإضافة لوجود راقصًا يرتدي ملابس امراة وإلى الخلف منه عازف على العود.

(٢)مخطوط كنجينه ئي فتحي كنجه:

المؤرخ ب ٩٩٨هـ/١٥٩٠، محفوظ في مكتبة طوبقابي سراي بأستانبول.

- **الاحتفال بالعيد "استقبال العيد في قصر طوبقابي" (لوحة٥):**

حيث يظهر مراد الثالث جالسًا على كرسي العرش الذهبي ويقوم أحد كبار رجال الدولة بتقبيل طرف ثوبه في حين ينتظر باقي رجال الدولة دورهم في مقدمة الصورة.

حيث جرت العادة على أن يتقبل السلطان التهاني في العيد مرتين، مرة عند حلول "كوجك بيرامي" العيد الصغير والثانية عند حلول "بيوك بيرامي" أي العيد الكبير، وكان يقام في كل عيد من العيدين حفل استقبال رسمي "ركاب همايون" في القصر السلطاني، يتقبل فيه السلطان التهاني من كبار رجال الدولة وفقًا لمراسم محددة من أهمها جلوس السلطان على عرشه الذهبي ثم يقوم كبار رجال الدولة بتهنئته ويكون أول المهنئين له الصدر الأعظم ثم يتخذ موقعه إلى يمين العرش لكي يقدم للسلطان المهنئين بصوت عال، وكان من أهم هؤلاء الحضور شيخ الإسلام وقاضيًا العسكر والقضاة وأغا الإنكشارية وقادة الجيش، كما يمكن أن يدعى بعض السفراء للحضور، وخلال الاحتفال تعزف "موسيقى النوبة" من فريق موسيقى يصطف على شكل هلال فيضربوا الأقراص النحاسية وينفخ الزمارون ونافخوا الأبواق، وقد تستمر الاحتفالات بالعيد في العاصمة لعدة أيام.(٢٣)

(٣) مخطوط السورنامة:

كتاب المهرجان أو الاحتفال مؤرخ ٩٩٠هـ/١٥٢٨م، محفوظ في مكتبة متحف طوبقابي سراي، كتبه مؤرخ البلاط الشاهنامجي لقمان وصوره نقاش عثمان، ويحتوي على عدد ضخم من الصور بلغ عددها ٤٣٧ أغلبها مزدوجة.

ويعتبر هذا المخطوط من أشهر المخطوطات التاريخية في عهد مراد الثالث لسببين مهمين، أولهما أنه يتناول الاحتفالات التي أقيمت بمدينة أستانبول بمناسبة ختان ابنه الأمير محمد، والسبب الثاني أنه يضم عدد كبير من الصور اهتم فيها نقاش عثمان بتصوير حياة الناس في أستانبول و أحوال الصناع والتجار وكذلك لاعبو الألعاب البهلوانية والسيرك، وقد سجل عثمان ومرسمه الفني بالصور جميع مراحل الاحتفال من بدايته لنهايته، حيث بدت صور المخطوط كأنها أقرب للقطات الشريط السينمائي، وقد دُعى لهذا الاحتفال بعض الملوك والسفراء.(٢٤)

- **تصويرة تمثل "وصول موكب الشاهزاده محمد بن السلطان مراد الثالث إلى القصر القديم":**

يظهر بها الأمير ممتطيًا صهوة جواده متقدمًا الموكب بينما يفرش الحراس الأبسطة أمامه ليمر عليها الجواد أثناء دخوله إلى القصر الممثل مدخله يسار التصويرة.

وكان من مراسم حفل الختان أن يتجه كل أمير سُيختن إلى القصر القديم، قبل بدأ الحفل لتوديع أمه الوداع الأخير لأنه قد لا يراها بعد ذلك.(٢٥)

- **تصويرة مزدوجة تمثل "وليمة لأعيان عامة الشعب":**

تمثل جلوس مجموعة من الأشخاص حول مفرشين وقد وضع أمام كل واحد منهم صحن عميق للطعام ويقف بجوارهم بعض الخدم، وقد أمسك عدد منهم صحون مغطاة من المحتمل أن بها طعام يتم تقديمه لهم عند الحاجة لطعام إضافي ويحمل آخرون أوان للشراب.

كان من أهم مراسم احتفالات الختان دعوة السلطان الحضور جميعهم إلى يغما "وليمة" في كل صباح، واختلفت موائد عامة الشعب والإنكشارية عن تلك المقدمة لكبار رجال الدولة، فيقدم طعام العامة والإنكشارية في أطباق توضع على الأرض ويشتمل كل طبق على أرز ولحم وأحيانًا تلك الأطباق لا تكفي الحاضرين مما يؤدي لتدافعهم نحوها مما يسود الهرج والمرج، أما الولائم المعدة لكبار رجال الدولة فلا يشاركهم فيها السلطان، ويجتمع أرباب الوظيفة الواحدة معًا على مائدة واحدة، وكل وليمة على عدة سفرات، يوضع على كل سفرة صحن واحد في منتصف صينية دائرية مرتفعة، ويقدم كل صنف منها عقب الانتهاء من الذي يسبقه وهكذا.(٢٦)

- **تصويرة مزدوجة تمثل"عرض طائفة صانعي الزجاج ومسيرتهم أمام السلطان" (لوحة ٨):**

تمثيل مسيرة الزجاجين في تصويرتين، نرى في اليمنى دقة المصور في تمثيل مراحل صناعة الزجاج بطرقة النفخ، فيما يقوم الزجاجون الجالسون على مقاعد أمام الفرن المحمول على عربة خشبية، وفي التصويرة اليمنى تمثيل أربعة من حاملي الهدايا التي تقدم للسلطان في مثل تلك المسيرات، فعلى رؤوس ثلاثة منهم صينيات بها أواني زجاجية، والرابع فيتقدمهم وهو شيخ الطائفة ويحمل بين يديه صندوق.

وقد وضعت الدولة للملبس قوانين صارمة لم تتغير منذ عهد السلطان سليمان، حيث لكل طائفة من طوائف الحرف ملبسًا خاصًا لها، كما ميزت بين ملابس الأفراد في الطائفة الواحدة، فلشيخ الطائفة والنقيب وهيئة الشيوخ ملابس الشيوخ المعتادة القفطان ذو الأكمام والجبة التي تعلوه، في حين يرتدي كلًا من الأستاذ والعامل المدرب سروالًا ويشد على وسطه حزامًا، وقد حرم السلاطين على الحرفيين ارتداء الملابس الثمينة الخاصة بالطبقات العليا.(٢٧)

- **تصويرة مزدوجة تمثل "تأدية رياضة المطراق"(لوحة٩):**

يشغل مقدمتها اثنى عشرة لاعب، مقسمون على خمس مجموعات يواجه كل اثنين منهم الآخر وقد أمسك كل واحد منهم في إحدى يديه عصى المبارزة وفي اليد الأخرى واقية اليد، بينما يستعد لاعبان لبدء النزال من خلال لبس الواقية المخصصة لتلقي الضربات.

وتلك الرياضة هي في الأصل من رياضات المنازلة، تمارس كتدريب على فنون القتال، وفيها يتبارز كل لاعبين على حدة، فيمسك كل واحد منهم في إحدى يديه سيفًا قصيرًا أو خنجرًا أو عصا وفي اليد الأخرى واقية لليد عبارة عن ترس من خشب

أو معدن مبطن بالقماش لتلقي الضربات، ويقف كل منهما مقدمًا إحدى رجليه إلى الأمام ومؤخرًا الأخرى إلى الخلف ويمشي تجاه خصمه وهو يضربه بسيفه أو عصاه، محاولًا لمس الهدف من جسده ولوي سيفه أو عصاه.(٢٨)

- **تصويرة تمثل "العفو عن المسجونين بسبب الديون"(لوحة ١١):**

حيث مثل التصويرة اليسرى بعض الدفترداريـة يجهزون النقود الخاصة بكل مديون تمهيدًا لدفعها لخزينة الدولة ومن ثم فك سجن الغارمين، وتسجيل أحد الكتبة لما يتم تسديده في ورقة بيده، وقد صور المساجين في التصويرتين مقيدين بالسلاسل من رقابهم يقتادهم الإنكشارية والجاويشية، وفي التصويرة اليمنى يوجد بينهم امرأة مع طفل صغير في نهاية الصف الثاني من المسجونين.

وكان يحرص السلاطين على تسديد ديون المديونين وتحريرهم من السجن أثناء الاحتفال بختان أبنائهم من أجل امتصاص غضب الشعب من الضرائب المفروضة عليهم وتعسر كثير منهم السداد.(٢٩)

الخاتمة

وتوصل الباحث من خلال دراسة موضوع (**الأنثروبولوجيا الثقافية الحضارية وتطبيقها على نماذج من مخطوطات في عهد السلطان سليمان القانوني ومراد الثالث "دراسة آثارية – حضارية"**) إلى النتائج الآتية:

اولًا: أستطعنا الربط بين علم الأنثروبولوجيا والتصوير العثماني معًا وفتح المجال لتطبيق علم الأنثروبولوجيا على هذا التخصص من خلال دراسة متخصصة، ففي هذا البحث تم تناول علم الأنثروبولوجيا وتطبيقه على المجتمع العثماني في خلال عهد السلطانين سليمان القانوني ومراد الثالث، ومن خلال بعض التصاوير التي في البحث استطعنا تكوين فكرة عامة على ثقافة المجتمع العثماني والمعروفة في علم الأنثروبولوجيا بالوثائق المكتوبة.

ثانيًا: من خلال تلك الدراسة تعرفنا على النواحي الأخرى للمجتمع العثماني حيث الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعلى عادات وتقاليد وطرز المساكن وشكل الملبس وتباينه ووسائل الزينة والفنون ومظاهر الاحتفالات واختلاف السحن في المجتمع العثماني من خلال نماذج تصاوير تلك المخطوطات.

ثالثًا: تحديد هوية الأشخاص الممثلين في تصاوير المخطوطات ذات الموضوعات المختلفة، والحرص على إبراز ما هو مهم مثل السلطان والصدر الأعظم وكبار رجال الدولة.

رابعًا: اختلاف الأماكن الممثل بها السلاطين في تصاويرهم، فأحيانًا جالسون على العرش وأحيانًا في معارك حربية، والحرص على إبراز أمجادهم وإنجازاتهم من خلال التصاوير.

خامسًا: تحديد مراسم جلوس السلاطين على العرش وحفلات الختان ووبيان ذلك في التصاوير مثل مبايعة كبار رجال الدولة للسلطان بتقبيل طرف ثوبه، وإقامة الاحتفالات للختان و من مراسمها أن يتجه كل أمير سُيختن إلى القصر القديم، قبل

بدأ الحفل لتوديع أمه الوداع الأخير لأنه قد لا يراها بعد ذلك، دعوة السلطان الحضور جميعهم إلى يغما "وليمة" في كل صباح، واختلفت موائد عامة الشعب والإنكشارية عن تلك المقدمة لكبار رجال الدولة.

سادسًا: يمكن الاعتماد على التصاوير في معرفة مدى التطور العمراني الذي وصلت إليه أستانبول في عهد السلطان سليمان القانوني ومراد الثالث، كما يمكن الكشف من خلال التصاوير معرفة الوظائف المستحدثة في عهدهم.

سابعًا: معرفة مراسم خروج الجيش بقيادة السلطان تارة ونائبه تارة أخرى، وعودته ومراسم الاحتفال بعودته منتصرًا، وكان من علامات النصر التي تم رصدها هي تنكيس أعلام الدولة المنهزمة من أعلى قلعتها وورفع علم الدولة العثمانية بدلًا منه، ورفع الآذان من الأبراج، وتصوير بعض الجنود يحملون رؤوس الخصم في أيديهم، وتسجيل أسمائهم للحصول على العطايا، وأحصاء الغنائم لتوزيعها على المشاركين.

ثامنًا: تحديد مراسم الاحتفال بالأعياد الدينية مثل العيدين في ذهاب كبار رجال الدولة إلى القصر لتقديم التهنئة وتقبيل طرف ردائه، وتتمثل مظاهر البهجة في عزف الموسيقى واستعراض الرياضيات وألعاب التسلية، وموائد الطعام التي تقام لكبار رجال الدولة والإنكشارية وعامة الشعب.

تاسعًا: يحرص السلاطين على تسديد ديون المديونين وتحريرهم من السجن أثناء الاحتفال بختان أبنائهم من أجل امتصاص غضب الشعب من الضرائب المفروضة عليهم وتعسر كثير منهم السداد.

عاشرًا: اهتمام السلاطين بالطوائف الحرفية وانعكس ذلك على ظهورها في الاحتفالات، حيث كانت كل حرفة تقوم بعرض خاص بها، كما وضعت الدولة لكل طائفة ملبس خاص بها و قوانين صارمة لم تتغير منذ عهد السلطان سليمان.

اللوحـــــــــات

لوحة (١) صورة مزدوجة لمدينة استانبول، من مخطوط "بيان سفر منازل سفر العراقيين" المؤرخ ب ٩٤٤هـ /١٥٣٧م، المحفوظ في مكتبة جامعة استانبول.

لوحة (٢) تتويج السلطان سليمان القانوني، من مخطوط سليمان نامة المؤرخ ب ٩٦٥هـ/١٥٥٨، المحفوظ بمتحف طوبقابي سراي بأستانبول.

لوحة (٣) احتفال السلطان سليمان بختان ولديه بايزيد والأمير جهانكير، من مخطوط سليمان نامة، المؤرخ ب ٩٦٥هـ/ ١٥٥٨، المحفوظ بمتحف طوبقابي سراي بأستانبول.

لوحة (٤) فتح السلطان سليمان لبلجراد، من مخطوط الهنرنامة الجزء الثاني المؤرخ ب ٩٩٦هـ /١٥٨٨م، المحفوظ في مكتبة طوبقابي سراي بأستانبول

لوحة (٥) وصول السلطان سليمان وأبنائه الثلاثة لميدان السباق، من مخطوط الهنرنامة الجزء الثاني المؤرخ ب ٩٩٦هـ /١٥٨٨م، المحفوظ في مكتبة طوبقابي سراي.

لوحة (٦) الاحتفال بالعيد في قصر طوبقابي، من مخطوط كنجينه ئي فتحي كنجه المؤرخ ب ٩٩٨هـ/١٥٩٠م، المحفوظ في مكتبة طوبقابي سراي بأستانبول.

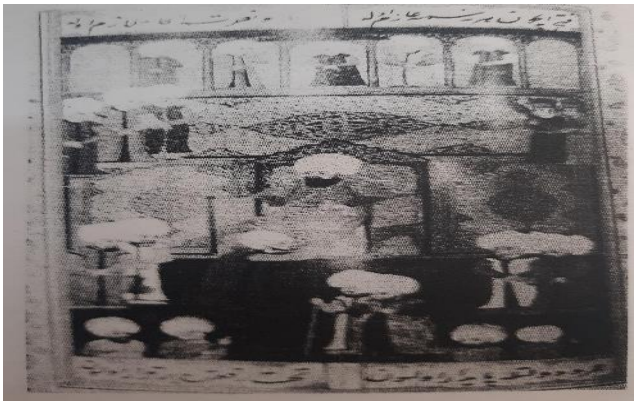

لوحة (٧) عرض طائفة صانعي الزجاج ومسيرتهم أمام السلطان، من مخطوط السورنامة المؤرخ ب ٩٩٠هـ/١٥٢٨، المحفوظ في مكتبة طوبقابي سراي بأستانبول.

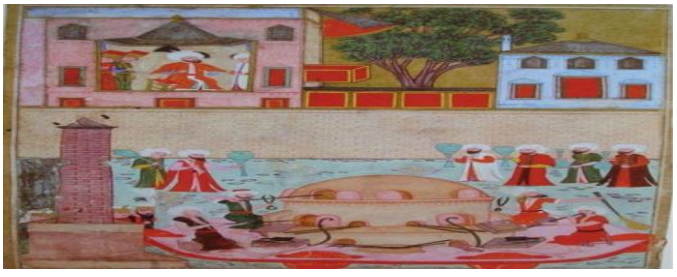

لوحة (٨) تأدية رياضة المطراق أثناء عرض بعض طوائف الحرف، من مخطوط السورنامة، المؤرخ ب ٩٩٠هـ/١٥٢٨، المحفوظ في مكتبة طوبقابي سراي بأستانبول.

لوحة (٩) العفو عن المسجونين بسبب الديون، من مخطوط السورنامة، المؤرخ ب ٩٩٠هـ/١٥٢٨، المحفوظ في مكتبة طوبقابي سراي باستانبول.

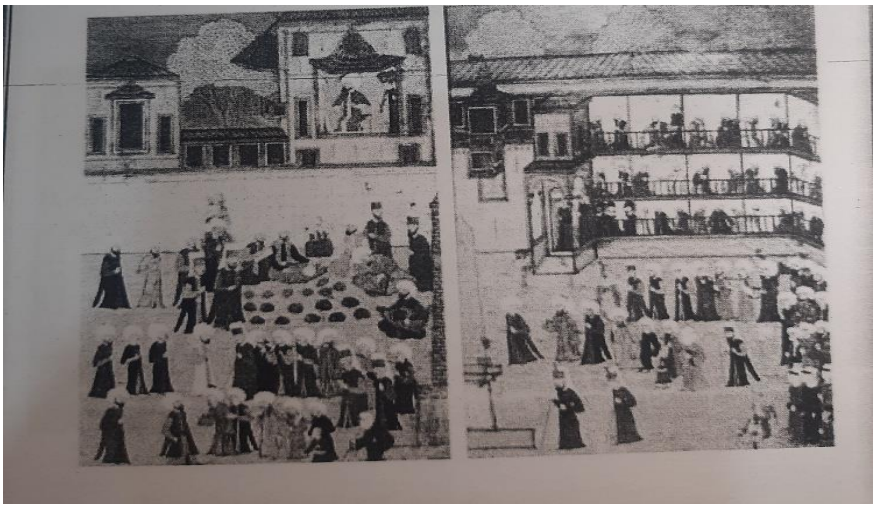

الهوامش

(١) مجموعة من أساتذة قسم الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة، علم الإنسان مدخل عام، الطبعة الأولى، دار القلم، الإمارات، دبى، ١٩٩٥، ص١٢.

(٢) محمد رياض، الإنسان (دراسة في النوع والحضارة)، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص١٣.

(٣) عيسى الشماس، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤، ص٨.

(٤) مصطفى عمر حمادة، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، محمد عباس إبراهيم، (محرر)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١، ص١١٠.

(٥) مجموعة من أساتذة قسم الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة، المرجع السابق، ص١٣، ١٤.

(٦) عيسى الشماس، المرجع نفسه، ص٥.

(٧) عيسى الشماس، المرجع نفسه، ص٨.

(٨) عيسى الشماس، المرجع نفسه، ص٨، ٩.

(٩) محمد الجوهري وعلياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا القاهرة، ٢٠٠٧، ص٢٦، ٣٥.

(١٠) محمد عباس إبراهيم: فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨، ص ٤٥، ٤٦.

(١١) مجموعة من أساتذة قسم الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة، المرجع السابق، ص٣٠، ٣١.

(١٢) عيسى الشماس، المرجع السابق، ص١٠.

(١٣) عيسى الشماس، المرجع نفسه، ص١١.

(١٤) ربيع حامد خليفة، مدارس التصوير الإسلامي في إيران وتركيا والهند، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٢٣٥.

(١٥) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨.

(١٦) أوقطاي آصلان آبا، ترجمة أحمد محمد عيسى، فنون الترك وعمائرهم، الطبعة العربية الأولى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، أستانبول، ص٢٩٨.

(١٧) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص٢٥٠، ٢٥١.

(١٨) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص٢٥٢، ٢٥٣.

(١٩) غادة عبد السلام ناجي فايد، مظاهر الحياة الاجتماعية في تصاوير المخطوطات التركية من القرن (٩-١٢هـ/١٥-١٨م)، القاهرة، ٢٠١٧، ص١٧٩، ١٨٠.

(٢٠) إبراهيم حسانين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، ٢٠١٤، ص٣٤٨، ٣٤٩.

(٢١) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص٢٧٩.

(٢٢) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع السابق، ص١٤٧، ١٤٨، ١٤٩.

(٢٣) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع السابق، ص١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.

(٢٤) ربيع حامد خليفة، المرجع السابق، ص٢٧٤، ٢٧٥

(٢٥) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع السابق، ص١٨٦، ١٨٧.

(٢٦) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع نفسه، ص١٨٩، ١٩٠، ١٩٤.

(٢٧) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع السابق، ص٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢.

(٢٨) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع نفسه، ص٢١١، ٢١٢.

(٢٩) غادة عبد السلام ناجي فايد، المرجع السابق، ص١٩٨.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

١- إبراهيم حسانين، سلاطين الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، دار التعليم الجامعي، الأسكندرية، ٢٠١٤.

٢- السيد أحمد، الأنثروبولوجيا الثقافية، جامعة القاهرة، الجزء الأول، دار الثقافة، ص٧، ٨.

٣- ربيع حامد خليفة، مدارس التصوير الإسلامى في إيران وتركيا والهند، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.

٤- مجموعة من أساتذة قسم الاجتماع بجامعة الإمارات العربية المتحدة، علم الإنسان مدخل عام: الطبعة الأولى، دار القلم، الإمارات، دبي، ١٩٩٥.

٥- محمد الجوهري وعلياء شكري، مقدمة في دراسة الأنثروبولوجيا، القاهرة، ٢٠٠٧.

٦- محمد رياض، الإنسان (دراسة في النوع والحضارة)، هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

٧- محمد عباس إبراهيم، فاروق أحمد مصطفى، الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٨.

٨- مصطفى عمر حماده، الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات، محمد عباس إبراهيم، (محرر)، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠١..

٩- عيسى الشماس، مدخل إلى علم الأنثروبولوجيا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٤.

١٠- غادة عبد السلام ناجي فايد، مظاهر الحياة الاجتماعية في تصاوير المخطوطات التركية من القرن (٩-١٢هـ/١٥-١٨م)، القاهرة، ٢٠١٧.

المراجع الأجنبية المعربة:

- أوقطاي آصلان آبا، ترجمة أحمد محمد عيسى، فنون الترك وعمائرهم، الطبعة العربية الأولى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، أستانبول.